محاضرة الدكتور محمد هيثم الخياط
بتاريخ 2006/6/27

بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه، قد سألتني الأخت عزَّة سؤالاً أفتتح به قبل أن أتابع ما بدأنا به في المرة الماضية وهو ما يتعلَّق بموضوع زواج الأقارب، وهل زواج الأقارب فيه مخاطر أم ليس فيه مخاطر، وهل هو ممنوع، محبَّذ أو غير محبَّذ، وما إلى ذلك، وبالنسبة للإسلام الموضوع واضح جداً، فالأقربون الأدنون الزواج بهم غير جائز، وهؤلاء هم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم: ﴿حُرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ....﴾ إلى آخر الآية، والدائرة الثانية مباشرةً ليس فيها أي تحريم على الإطلاق، بالعكس فنجد الآية الكريمة: ﴿يا أيها النبي إنَّا أحللنا لك أزواجاً اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ..... وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك﴾، إذن فهذا بالنص إحلال للدائرة الثانية من القرابة، فإذن هذه هي حدود الحِل والحُرمة، والحكمة في ذلك لا يستطيع الإنسان أن يزعُم أنها مرتبطة بناحية صحية بدنية، أو بناحية صحية نفسية، أو ما شابه ذلك، فبطبيعة الحال من ناحية العلاقات الاجتماعية، فالشيء الطبيعي أن لا يكون مثل العلاقة بين القريبين جداً، لكن إذا وُجد مرض وراثي، فإن هذه الأمراض الوراثية يمكن لخاصتين متنحيتين أن تجتمعا فتؤديا إلى مرض واضح شديد الوضوح، وكما نعلم أن الخلايا الوراثية التي تحمل الصفة الوراثية في الإنسان عادةً تكون على جين مورِّثة يعني متنحية، فنقول عنها متنحية أي أنها لم تستطع أن تظهر نفسها، فهي أضعف من أن تظهر نفسها إذا بقيت وحدها، أما إذا اجتمعت مع أخرى مماثلة من الزوج الآخر، فعند ذلك تتحول هذه المتنحية إلى صفة سائدة، وتتجلَّى بشكل من الأشكال في هذا الشكل المرضي الذي يمكن أن تتجلَّى به، أما ما دامت صفة متنحية فيمكن أن تُتوارث دون أن تؤدي إلى ظهور

مرض، ولذلك يمكن أن تُحمل من جيل إلى جيل إلى جيل دون أن يظهر أي مرض، إنما إذا حصل أن اجتمعا فهذا يمكن أن يؤدي إلى ظهور الخاصة المرضية، واحتمال وجود هاتين الصفتين المتنحيتين في الأقارب أكثر بكثير طبعاً من احتمال وجوده في الأباعد، ولذلك فاحتمال حدوث الأمراض الوراثية إن كانت هنالك صفة وراثية متنحية، تكون أكبر بطبيعة الحال، أما بشكل عام فليس هنالك أي حرج من زواج الأقارب، ولذلك كما قلنا أباح الشرع التزوج من بنات العمات وبنات الخالات، إلى آخره، لكن حينما نعرف بشكلٍ من الأشكال أن هناك أسرة أو مجموعة أو عشيرة تشتمل على مثل هذه الخاصة المرضية فعند ذلك يجب أن نحذر حذراً كبيراً، وهذا كان متمثلاً بصورة خاصة في إقليمنا، في جزيرة قبرص، وجزيرة قبرص هي جزيرة، فهي إجمالاً معزولة عملياً عمّا حولها، فلا يوجد مثل هذا التواصل الكبير عن طريق البر، والأسر كانت تتزاوج تزاوجاً كبيراً، وبذلك كان مرض التلاسيميا وهو نوع من أنواع فقر الدم كان مرضاً شائعاً جداً، والحقيقة أننا استطعنا بالتعاون مع الحكومة القبرصية في منظمة الصحة العالمية أن نتوصل إلى وسيلة لا يتم فيها مثل هذا الزواج بين الأقارب، وبصورة خاصة إذا قمنا بعملية فحص أو استشارة قبل الزواج، وبذلك نقصت نسبة الإصابات نقصاناً كبيراً، والوضع الآن في قبرص أصبح أقرب ما يكون إلى الوضع الطبيعي، فإذن في الحالات التي يُشك فيها بأمثال هذه الأمور، فمن الضروري أن تُجرى الفحوص الطبية، وتُجرى الاستشارة الطبية، لنُصح هؤلاء بعدم الزواج إذا كانت هنالك هذه القرابة.

قد يُقال أن هذه الطرق الحديثة الآن أصبحت تمكِّن من أن تُفحص النطاف، أي النطفة gamete يعني الخلية الجنسية سواءً كانت نطفة مذكَّرة أو نطفة مؤنَّثة، يُمكن أن تُفحص في المختبر قبل أن تُجرى عملية التلاقح بينهما، فتُنتقى الخلية التي لا تحتوي على هذه الصفة ويمكن أن تُلقَّح بالخلية الأخرى التي لا تحتوي على هذه

الصفة، والآن هنالك من الطرق الحديثة ما يفتح بعض الآفاق لمثل هذه الأمور، لكن الأصل أنه حينما يكون لدينا بيّنة على وجود مثل هذه الصفة المرضية المتنحية، فالأولَى أن نجتنب الزواج بين الأقارب، أو الإنجاب بين الأقارب، يعني أحد الأمرين.

هل جاوبت كذلك على السؤال كاملاً ؟ .... الحمد لله.

نحب أن نستكمل ما بدأنا به في المرة الماضية، وكانت الأخت نورا طلبت منّا قبل أشهر أن نتحدَّث عن موضوع البُعد الجمالي، وبدأنا بالحديث عنه في المرة الماضية، لكن لم يُستكمل، وهذا البُعد هو بُعد مهم جداً في نظر الإسلام، وذكرنا كيف أن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى الجمال المبثوث في الكَوْن، في كل جزئية من جزئيات هذا الكوْن الجميل، سواءٌ في الحيوان أو في النبات أو في الإنسان أو في الطبيعة، في كل مظهر من المظاهر، ويحثنا على أن نستمتع بهذا الجمال، ﴿حدائق ذات بهجة﴾، ﴿فأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج﴾، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾، ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾، ﴿إنّا زينّا السماء الدنيا بزينة [أي الكواكب]﴾ ، ﴿ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح﴾، فالقرآن الكريم يلفت نظرنا دائماً إلى قضية الزينة وقضية الجمال وقضية البهجة من أجل أن يولِّد فينا هذه المشاعر، لأن هذه المشاعر هي التي تبرز إنسانية الإنسان، فالإنسان لا تبرز إنسانيته ما لم يكن هذا البُعد الجمالي واضحاً فيه، وبالإضافة إلى ذلك ينسحب ذلك على السلوك، ولذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾، ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾، ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾، فحتى الهجر يجب أن يكون هجراً جميلاً، فإذن الجمال يجب أن يتجلَّى في كل مناحي الحياة بما فيها النواحي السلوكية، وقضية الزينة واردة في القرآن الكريم كما ذكرت في المرة الماضية كثيراً، ﴿وزيَّناها وما لها من فروج﴾، ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾، فنجد دائماً أنه يُلفت النظر إلى الزينة والبهجة والجمال، إلى آخره.

من جُملة هذه الزينة أيضاً كما قلنا هو اللباس، حتى إن الله عزّ وجلّ قد أطلق على اللباس اسم الزينة، فإذاً الأصل في اللباس أن يكون مُزيناً، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾، وزينتكم يعني ملابسكم الجميلة، عند كل مسجد، فهذه تشتمل على الأمرين معاً، وبطبيعة الحال كما نعلم أن اللباس الذي يخرج به الإنسان إلى المجتمع، ذكراً كان أم أنثى ينبغي أن يكون بشروط مقبولة، يقبلها المجتمع، وقبل ذلك يقبلها الشرع، لكن يجب أن يكون زينة، فهذا شيء أساسي، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، إذن هنالك زينة ظاهرة، فما يظهر ينبغي أن يكون زينة أيضاً، فهو شرط في هذا الموضوع. وبطبيعة الحال الزينة مطلوبة في الجنسين معاً، وإضفاء الجمال على الإنسان هذا شيء مُرغَّب به ومحثوث عليه كثيراً، وهنالك صحابية اسمها أم رعلة القُشيرية جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني امرأةً مُقيِّنة [أي كوافير] أُقيِّن النساء وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حوبٌ فأثبط عنه ؟ [أي هل هو إثم أو عمل غير مناسب]، فقال: « يا أم رعلة قينيهن وزينيهن »، إذن النبي ﷺ غير أنه سمح لها، فذكرها لها بصفة الترغيب، وهذا الحديث ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة، وابن حجر في الإصابة في أخبار الصحابة.

من هنا أحب أن أتطرَّق وقد أعود إلى متابعة الموضوع، فأتطرَّق إلى ناحية مهمة جداً، أعتقد أننا نخطئ كثيراً في فهمها، فأنا سمعت مرة في التليفزيون أخٌ من الذين يسمون أنفسهم القرآنيون، يعني الذين يريدون الاحتجاج بالقرآن فقط، وأن الحديث النبوي لا حُجيَّة له على الإطلاق، ومن جُملة الحُجج التي يسوقها أنه يلفت انتباه الناس إلى أن الأحاديث تناقض القرآن الكريم، والمثال الذي جاء به هو قول الله عزّ وجلّ: ويسألونك عن المحيض قُل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهُرن، فقال أن الأذى معناه الضرر، وهذا ما أثبته الطب وذكر

مجموعة من الآفات والأمراض التي يمكن أن تحدث إذا حصلت مناسبة جنسية في أثناء المحيض، ثم بالإضافة إلى ذلك أن الحديث يقول أن النبي ﷺ كان يطلب من أزواجه إذا أراد أن يباشر زوجة من زوجاته في أثناء حيضها أن تلقيَ إزاراً [أي فوطة] على مكان الحيض ثم يباشرها، والمباشرة معناها ملامسة البشرة في غير هذا المكان، وهو يأتي بهذا على أساس أن هذا الحديث يناقض الآية القرآنية الكريمة، وهذا ككثير من الآخرين الذين بدأت هذه السلسة من الأحاديث بالحديث عنهم، إنما أوتوا من جهلهم باللغة العربية، فمشكلتنا الكبرى، أن هذا القرآن نزل بلسان العرب الذين كان منهم النبي ﷺ، فحتى نفهم القرآن ونفهم الحديث، يجب أن نفهمه بلغة أولئك القوم، يعني لغة قُريش وما جاورها من مُضر في ذلك الزمان، أما بعد ذلك فالكلمة تبدَّلت معانيها وتبدَّلت، فلا يجوز أن نأخذ المعنى الجديد لنحاول أن نعكسه على النص القديم وأن نقصر النصوص، فكلمة الأذى هذه، لا علاقة لها بالضرر على الإطلاق، فالضرر شيء والأذى شيء آخر، فنحن الآن نتحدَّث عن الأذى على أنه شيء مُضر، فنقول أن شخص مؤذي يعني أنه دائماً مُضر، وهذا غير صحيح، فالأذى له معنى جمالي، فهو يتعلَّق بالبُعد الجمالي، فالأذى هو كل شيء مزعج، وكل شيء مقزِّز قبيح، غير مقبول من الناحية الجمالية، فهذا هو المؤذي، والدليل على ذلك من نص القرآن، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾، إذن هذا يعني أن الضرر شيء والأذى شيء آخر، ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾، هل تعني أنهم يضرون الله ورسوله ؟، فهذا نوع من القصور في الفهم، فحتى لو قرأ النص القرآني وحده، لتبيَّن له أن هذا الفهم غير صحيح، فإذن الأذى له بُعد جمالي وليس له علاقة بالضرر إطلاقاً، فالأذى كما قلت هو شيء غير مقبول وغير ملائم من الناحية الجمالية، وهذا هو المُراد في هذه الآية، والخطيئة الأخرى الأكبر التي ربما تكون أكبر أيضاً، أنهم فهموا المحيض على أنه الحيض، في حين أن المحيض هنا هو اسم مكان، فمثل المبيض المحيض، فالمحيض هو مكان الحيض، فمكان

الحيض هو العضو التناسلي فقط في حالة الحيض، فهذا هو المحيض وليس وضعية الحيض كله، فليس هو الدورة الشهرية كلها، ولذلك رب العالمين قال: ﴿واعتزلوا النساء في المحيض﴾، أي اعتزلوهم في مكان الحيض، وهذا ما فعله النبي ﷺ، وطبعاً السنَّة هي التي توضِّح ما هو المراد بالقرآن الكريم، إذن المقصود هنا أنه في حالة المحيض أن المنظر جمالياً غير مقبول، لكن لا هو مُضر، وكل كتب الطب التي نعرفها لا تذكر أي شيء عن أي ضرر يمكن أن يحدث في حالة المناسبة الجنسية في أثناء الحيض، لكن هذا جمالياً غير مقبول، ولذلك نلاحظ كم هي أهمية الجمال في نظر الإسلام، فهذا الشيء ممنوع ومُحرَّم ومُستنكَر من أجل أنه لا يتجلَّى فيه البُعد الجمالي أيضاً، وهو مناسبة أحب أن أكرر فيها ما ذكرته من قبل من أن كثيراً من الناس يفتون – خاصةً بهذه الأيام فتاوى الـ Take away فهذه الفتاوى على الهواء تملأ الشاشات –، فمن هذه الفتاوى أنهم يفتون المرأة بأنها لا يجوز لها أن تقرأ القرآن إذا كانت حائضاً ولا أن تمس القرآن، وهذا غير صحيح، فالحيضة لست في اليد، وهذا ما حدث حينما كان النبي ﷺ وقد كان معتكفاً في المسجد فطلب من السيدة عائشة أن تناوله شيئاً فقالت "إني حائض"، فقال: « إن حيضتك ليست في يدك »، والحديث الآخر: « إن المؤمن لا ينجس »، « إن المسلم لا ينجس »، والحديث الآخر الذي ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها، وكلها أحاديثٌ صحاح في الصحاح، « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »، في كل أحيانه، وذِكْر الله هنا في كل شيء، إذن ما ذُكر في بعض الأحاديث الضعاف مثل "إني لا أُحل المصحف لحائضٍ ولا جُنُب" وما شابه ذلك من قضية اللمس، فهذه أحاديث وردت في صحيح الترمذي، والترمذي يقول في آخر الحديث أنه لم يروِ هذا الحديث إلا اسماعيل بن عيّاش، وقال محمد بن اسماعيل – وهو البخاري، شيخ الترمذي – أن اسماعيل بن عيّاش يروي عن أهل الشام وأهل العراق مناكير، يعني أن وظيفته فقط أن يروي الأحاديث المنكرة التي هي موضوعة أو ضعيفة أو لا أصل لها، فهو الترمذي الذي

يروي الأحاديث يقول في آخره أن راوي الحديث يروي المناكير، هذا يعني أنه حديث غير صحيح، فلم يصح شيء في الموضوع على الإطلاق، فلا يجوز أن نحرم المرأة ربع عمرها أو خمس عمرها من الاتصال بالقرآن من قراءته أو لمسه، أما ما يفهمه البعض من أنه ﴿لا يمسّه إلا المطهرون﴾، من أن هذا ينطبق على التطهُّر بالوضوء أو بالغسل، فهذا غير صحيح، فهذا حديث عن الملائكة الكرام، وهذا يوضحه ما ورد في سورة عَبَس، في صحفٍ مكرمةٍ مرفوعةٍ مطهرةٍ بأيدي سفرةٍ كرامٍ بررة﴾، فالحديث في هذه الآية وتلك هو عن الملائكة المقربين، وليس عن البشر على الإطلاق، فالبشر يقرئون القرآن في أي صورة ويمسون القرآن في أي صورة، سواءً كان الإنسان جُنباً أو كانت المرأة حائضاً، فلا يجوز أن نمنع بناتنا ونسائنا من هذه الصلة بالقرآن الكريم. وهذا موضوع جانبي، لكن أحسست أن من الضروري أن أذكره. والسيدة عائشة ذكرت لنا أحاديث مهمة جداً، باعتبار السيدة عائشة أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وكانت لديها الجرأة الأدبية لذكر كل هذه الأشياء لمصلحة الناس. ومن هذه الأحاديث، أنه قبل أن تُنهي السيدة عائشة حجها، حاضت السيدة عائشة، فجلست مهمومة من أن الناس سوف يذهبون بحج وعُمرة، وهي لا ترجع إلا بحج، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي،فقال: "مالكِ، أنفستِ ؟" [يعني حضتِ]، قالت: "نعم"، قال: "يا عائشة إن هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم"، فهذا ليس عيباً ولا نقيصة، فالرجال يحدث لهم أشياء والنساء يحدث لهن أشياء، ولذلك في الأحاديث الأخرى كانت تُصر السيدة عائشة على أن تبيّن: "كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ القدح، فيضع فاه على موضع فيَ فيشرب"، وعن عائشة أيضاً أنه "كانت إحدانا – أي أمهات المؤمنين – إذا كانت حائضاً، فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها – أي المباشرة التي ذكرناها من تلامس البشرة مع البشرة – أمرها أن تتَّزر – يعني أن تلقي فوطة على موضع الحيض – في فور حيضتها، ثم يباشرها".

التعبير الآخر عن الجمال، وهذا تعبير منتشر جداً في القرآن الكريم، هو تعبير يُشتق من مرادف للجما وهو الحُسن، فكل مشتقات الحُسن هي مشتقات جمالية، وهذه كما نرى أن القرآن يستعملها كثيراً، فيستعمل "الحَسنَة" و"الحُسنى" و"التي هي أحسن"، إلى آخر كل هذه المشتقات، ويتوجها جميعاً كلمة "الإحسان"، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، وقضية الحُسن – كما ذكرنا قبل قليل – بالنسبة للجمال تتجلَّى في كثير من الآيات، سأذكر بعضاً منها تباعاً، ثم بعد ذلك يمكن أن نعقِّب أو نركِّز على قليلٍ منها، ﴿وحسُن أولئك رفيقاً﴾، "حسُن" فهذا الحُسن في الرفاق ليكونوا الرفاق الحِسان، فمن كل ناحية طبعاً، الحُسن الجسمي والحُسن الأخلاقي، كله مرتبط مع بعضه، فالإسلام لا يفصل بين الأمرين، ﴿نِعمَ الثواب وحسُنت مرتفقاً﴾، يعني نِعمَ الرفاق أيضاً، هؤلاء الرفاق الحسنون، ﴿حسُنت مستقراً ومقاماً﴾، ﴿إنه ربي أحسن مثواي، ولاحظوا هذا المثوى الجميل﴾، فهنا البُعد الجمالي يغفل عنه كثير من الناس، مع أنه "أحسن"، فليس فقط أن هذا المثوى بالنسبة له أنه استطاع أن يجد مأوى، لكنه "أحسن مثواي" يعني أجمل ما يمكن من المثاوي، ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾، عندما أخرج الله سبحانه وتعالى سيدنا يوسف من السجن، ثم جعله في هذا المكان العليّ، ثم بعد ذلك جاء بأهله من البادية، فكل هذا ضمن عملية الإحسان التي هي قمة في كل الأبعاد الجمالية، ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي﴾، فكل هذا تركيز على قضية الناحية الجمالية، ﴿وصوركم فأحسن صوركم، فهنا واضح جداً المفهوم الجمالي، ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حَسنَة﴾، ولذلك تُستعمل كلمة الحسنة في معنيين ومثلها أيضاً كلمة السيئة، فالحسنة هي أن يقوم الإنسان بعمل حَسَن، وهي جزاء هذا العمل الحسن في الآخرة، والسيئة هي أن يقوم الإنسان بعمل سيئ وجزاء هذا العمل في الآخرة، ﴿ثم كانت عاقبة الذين أساءوا السوئى﴾، يعني أن لا يوجد أسوأ من هذا، ﴿ليجزي الذين أساءوا بما علموا

ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾، فإذن الحسنة في الدنيا تقابلها حسنة في الآخرة، والسيئة في الدنيا تقابلها سيئة في الآخرة، لكن السيئ يعني القبيح، والحَسَن هو الجميل، فدائماً البُعد الجمالي يجب أن يكون في أذهاننا وهو يتخلَّل كل هذه الأمور، حتى إن الجنة نفسها سمّاها ربنا الحُسنى، يعني أنه لا يوجد أحسن من هذا، فلذلك هي الحسنى، ولذلك يقول ربنا عزّ وجلّ: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾، يعني أنه سبقت لهم منا الجنة، فهؤلاء في الجنة، وكلمة الحسنى كما ترد في القرآن الكريم تعني الجنة، فحينما تُذكر في آية من الآيات، فالأغلب – إلا إذا كان هنالك دليل آخر – هي تعني الجنة، وهنا لعلي قد لفتُّ النظر في مرة ماضية، لكني أحب أن أكرِّر أيضاً أن الله سبحانه وتعالى عندما يتحدَّث عن أصحاب رسول الله، فيقول عنهم جميعاً: ﴿لا يستوي منكم مَن أنفق مِن قبل الفتح وقاتل – إذن الحدود بالنسبة لنا هي فتح مكة – أولئك أعظم درجةً مِن الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلاً وعد الله الحُسنى﴾، يعني صحابة رسول الله كلهم مبشرون بالجنة، وهذا في حقيقة الأمر ينبغي أن نستصحبه حينما نجد كثيراً من الناس الآن يتطاولون على مقام الصحابة، ويتحدثون عنهم بطريقة غير لائقة، علماً بأنهم يعتمدون في ذلك على مرويات يقولون عنها أنها مرويات تاريخية، وليس لها أي سند من الواقع، فأصلاً التاريخ إذا حاولنا أن نطبِّق عليه قواعد العلم، لا نستطيع أن نجد شيئاً يقينياً في التاريخ، فالتاريخ يعتمد على ما وجدناه في الحفريات، فعلى سبيل المثال هذا أكثر شيء نعتمد عليه، هو أننا حفرنا الحفائر فوجدنا فرعون مكتوب عليه كلام، وهذا الكلام المكتوب عليه فككناه، ففهمنا منه أنه استولى على كذا وسيطَّر على كذا وكان فرعوناً عادلاً، وما شابه ذلك، هذا كل ما في الأمر، فهذا نصدقه باعتبار أن هذا هو الكلام الموجود، فلو اكتشفنا بدلاً عن هذا كلاماً آخر يشتم هذا الفرعون فسوف نصدِّق هذا الكلام، وعلى مستوى ما يحدث من الأمور، فتكتبها الجريدة الموالية بطريقة وتكتبها الجريدة المعارضة بطريقة معاكسة تماماً، إذا فرضنا الآن

أنه - لا سمح الله - حدث شيء وهُدمت بلد من البلدان، وبعد أربعمائة أو خمسمائة سنة أخرجت الحفائر بشكلٍ ما هو موجود، فلو كشفت عن جريدة من الجرائد الموالية لقالت أن هذا العهد هو عهد ذهبي وليس له نظير وإلى آخره، وإذا كشفت عن الجريدة الأخرى ستجد الكلام المعاكس، إذن ليس هنالك ما يمكن أن يُتخذ بشكل موثوق، وهذا ما أصاب تاريخنا، فتاريخنا مع الأسف أصابه كثير بسبب العوامل السياسية، والسياسة حينما تدخل في أي شيء تفسده، فبسبب النزاعات السياسية التي حدثت منذ البداية بدأت هذه السياسات تؤثِّر فيمن يكتبون هذه السِيَر، وبذلك بدأنا نصادف أمثال هذه العجائب، لكن المُشكل الآن أن الناس لا يعرفون شيئاً على الإطلاق يتسلقون ويتطاولون على مقام أصحاب رسول الله ﷺ الذين بشَّرهم الله سبحانه وتعالى بالحُسنى، ﴿وكلاً وعد الله الحُسنى﴾.

أيضاً أهم من ذلك أن رب العالمين له الأسماء الحُسنى، الأسماء التي لا يوجد أجمل منها، وهذا الجمال يتجلَّى في إنعام الله عزّ وجلّ؛ الحميد، والكريم، والمجيد، والرؤوف، والرحمن، والرحيم، كل هذه يتجلَّى فيها الحُسن، وصحيح هنالك بعض الأسماء التي توازن هذه الرحمة والمغفرة من أجل أن لا يطمع الإنسان كثيراً، لكن أقلية الأسماء بهذا الشكل، أما معظم الأسماء هي الأسماء التي تدل على الرحمة والمغفرة والرأفة والإمداد والربوبية، وما شابه ذلك، فهذه الأسماء الحُسنى أياً ما تدعو، ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾، فسواءً دعوتم الله أو دعوتم الرحمن، فكل هذه الأسماء هي أسماء حُسنى، وهذه الأسماء التي يتجلَّى فيها جمال الله عزّ وجلّ،والنبي ﷺ يقول: « إن الله جميل يحب الجمال »، فإن الله جميل ويحب الجمال، وهذا يبيّن أهمية الجمال في حيات الإنسان المسلم، والنبي ﷺ في خطبته الأولى في المدينة المنوَّرة يقول: « أحبوا ما أحب الله »، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يحب الجمال، فيجب أن نحب الجمال، نحب الجمال في الملبس، نحبه في المأكل، نحبه في

السلوك، نحبه في التصرُّف، ولذلك النبي ﷺ كان في صفته أنه وسيمٌ بسيم، فكان دائماً مبتسم، « تبسمك في وجه أخيك صدقة »، ونحن نرى الناس معبّسين وجوههم طوال الوقت، خاصةً الذين يحاولوا أن يتكلموا باسم الدين، فيخرجون عابسين على الناس، مع أن الأصل أن « لا تحقِرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق »، فالوجه الطليق جميل، والوجه العابس بشع، فإذا أردنا أن نلتزم بالجمال فعلينا أن نلتزم بهذه الابتسامة الجميلة، وهذا الوجه الطليق، وهذا التصرُّف الجميل، والحديث الجميل، والصبر الجميل كما قلنا، فكل هذه الأشياء مع الأسف أننا نغفل عنها.

وأنا أتمنى أن يعمل أحد على استقصاء أمثال هذه الأمور في القرآن والسنّة، وخاصةً في السنّة المطّهرة لنرى كيف كانت تتجلَّى في كل جزئية، فعلى سبيل المثال، كان النبي ﷺ على سفر وكان معه نساؤه وغيرهن من النساء، ويبدو أن هذا الذي يسوق الجِمال قد انسجم، فهو كان يحدو بالجِمال، والجِمال تحب الحِداء وتحب الصوت الجميل وهذا يشجعها على السَيْر، فهو قد تشَّجع جداً، وأصبحت الجِمال تسير بقوة، مثلما تسير السيارة بسرعة، فالنبي ﷺ قال له: – وكان هذا السائق اسمه أنجشه -، « يا أنجشه، رفقاً بالقوارير »، والقوارير هي ما نسميه اليوم بالكريستال، فحتى راوي الحديث يقول: "فقال كلمةً لو قالها أحدكم لأنكرتموها عليه"، فالنبي ﷺ يشبّه النساء بالكريستال، وكثير يشعرون أن هذه مبالغة، فتشبيه المرأة بالكريستال هو تشبيه في غاية الجمال، ولا يخطر لأحد، وحتى عندما نسمع هذا الكلام نظن أن القوارير هي مجرَّد هذه الأواني التي نشرب فيها. فحتى هذه الجزئيات نلاحظ أن الإسلام يركِّز عليها تركيزاً كبيراً. ووردت – بالمناسبة – القوارير في القرآن الكريم بهذا المعنى في سورة .... ﴿يعملون له ما يشاء من تماثيل﴾، وفي سورة النمل أيضاً عندما جاءت السيدة بلقيس لزيارة سيدنا سليمان ﴿قال إنه صرحٌ مُمرّدٌ من قوارير﴾، فقد صنعه لها من كريستال وليس من زجاج عادي، والسورة الأخرى هي

سورة الإنسان، ﴿قوارير من فضة﴾، فهو كريستال من صفائه وبياضه يحسب الإنسان أنه فضة، لأنها ﴿يُسقون فيها كأساً﴾.

وأنا حاولت أن أستقصي الآيات التي فيها كلمة الحُسن والحَسَن إلى آخره، شيء عجيب الحقيقة فقد وجدته عدد لا يكاد يُحصى، وكما قلت لا بأس أن نقرأ بعضها بدون تعليق ثم يمكن أن نعلِّق على بعضها، ﴿لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾، ﴿الذي أحسن كل شيءٍ خلقه﴾، ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾، ﴿للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة﴾، والزيادة هي أن يروا ربهم في يوم القيامة، ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾، ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾، يعني أنهم يستمعون للقول كله، وما نراه من قضية إغلاق العقول في هذه الأيام، فهذا ليس موجوداً في الإسلام أصلاً، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فبشِّر عبادي الذين يستمعون القول – كل القول – فيتبعون أحسنه [أي ينتقون أحسنه فيتبعونه]﴾ ، ولذلك نلاحظ أن القرآن الكريم لم يحجر على فكر ولم يحجر على قول، بل إن القرآن الكريم هو الذي نقل لنا أقوال الكفَّار والمشركين بنصها كما هي: ﴿سيقول الذين أشركوا﴾، ﴿وقال الذين أشركوا﴾، ﴿وقال الكافرون﴾، إلى آخره، وذكر الحوار بين الله سبحانه وتعالى وبين الشيطان، وماذا قال الشيطان لربه، فهذه الكفريات كلها مذكورة في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يحجر على هذا الفكر، بل بالعكس فهو قد نقل لنا هذا الفكر كما هو، وهذا دليل على أن الفكر لا يُحجَر عليه، فالفكر يُردُّ عليه بفكر ولا يُردُّ عليه بحجر، لكن مع الأسف هذه من جُملة الأشياء التي أصابتنا حين أخذنا نتدهور، إنما المسلمون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، « الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولَى بها »، وهذا الحديث فيه ضعف قليلاً لكن على كل حال يمكن أن يصل إلى مرتبة الحَسَن، وأمير المؤمنين علي ﷺ يقول: « العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ».

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فخذها بقوة﴾، وهذا طبعاً موضوع آخر يحتاج إلى جلسة مستقلة، ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾، فهذا موضوع كما قلنا يستأهل بحثاً برأسه، لكن ﴿فخذها بقوة، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾، فلاحظوا قضية الحُسن التركيز عليها دائما.

مداخلة: ....

نسبية طبعاً، لكن المقصود هو أن يُأخذ بها جميعاً، لكن بصورة خاصة إن كان لن يستطيع القيام بها كلها فليقم على الأقل بأحسنها.

مداخلة: .. المذاهب .....

صحيح، فصحيح أنه هناك حرية اختيار، وبنفس الوقت بقدر الإمكان يختار كل شخص ما يراه أحسن.

مداخلة: .....

صحيح، لكن هناك مُجمع على قبحها.

﴿وتمت كلمة ربك الحُسنى﴾، وهذا على بني إسرائيل، ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحُسنى أولئك عنها مُبعدون﴾، ﴿وصدَّق بالحُسنى .. وكذّب بالحُسنى﴾، وطبعاً المقصود هنا هي الجنة، وهذه الصيغة أتت بموضوع الحُسنى وأتت بموضوع ...، وطبعاً الحُسنى مقابلها السُوئى، ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُوئى﴾، يعني أنه لا يوجد هناك أسوأ من هذا، وهي الجحيم أو النار، أيضاً أتت اليُسرى والعُسرى، واليُسرى هي وصف لشريعة الإسلام، فخلاصة كل دين الإسلام هي اليُسرى، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحُسنى فسنيسِّره لليُسرى﴾، واليُسرى هي التي لا يوجد أيسر منها، ولذلك ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحُسنيين﴾، فهؤلاء الذين يذهبون للقتال عندهم الحلاّن حسنيان، سواءً النصر أو الشهادة، فاعتبروا

النصر شيء جميل واعتبروا الشهادة شيء جميل أيضاً، وهم يسعون إلى إحدى هاتين الحُسنيين.

وطبعاً بالنسبة لوصف يوم القيامة والآخرة،فنسمع قوله تعالى: ﴿فيهن خيراتٌ حِسان﴾، و﴿...عبقريٍّ حِسان﴾، فالحديث عن الحُسن والجمال في الجنة لا يكاد ينتهي.

﴿ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً﴾، فقضية الحُسن في العمل هذه قضية مهمة جداً، ولذلك كلمة الإحسان أكبر بكثير من أن تُستوعب. وأنا من سنتين تقريباً في محاضرة لي حاولت أن أترجم كلمة الإحسان بالإنكليزية لم أستطع، ولم أجد لها ترجمة، فأن توجد كلمة تؤدي معاني كلمة الإحسان، لا يوجد، فباللغات الأخرى لا يوجد مثل هذه الكلمة، وقد استعملت كلمة تُقاربها بقدر الإمكان ولو أن الكلمة مُصطنعة بأكثر من وجودها بشكل طبيعي، فهي ليست كلمة شائعة الاستعمال، فاستعملت كلمة Gracefulness فمن جُملة المعاني التي تحتويها كلمة Grace و Gracefulness أنها تعني الجمال وتعني رقّة القلب، والإشفاق على الآخرين، وتعني اللمسة الحانية التي أخذنا الآن نفتقدها حتى في أطبائنا، فمع الأسف أصبح هؤلاء يستغلون مرضاهم بدلاً من أن يلمسوا هذه اللمسة الحانية عليهم، كما أنها تشتمل على مراقبة الله عزّ وجلّ، فـ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »، والإحسان تشتمل على مفهوم الإتقان أو الجودة، لأن الحَسَن هو الجيد، وهذا ما نتحدَّث عنه اليوم في كل شيء من قضية الجودة وضمان الجودة ومراقبة الجودة وما شابه ذلك، فكل عمل من الأعمال الآن نركِّز فيه على قضية الجودة، فهذه المعاني كلها مشتملة في كلمة واحدة هي كلمة "الإحسان"، ولذلك نلاحظ كم هو البُعد الجمالي مهم حينما يشتمل على كل هذه المعاني جميعاً في كلمة واحدة، وتُلخص عاقبة هؤلاء المحسنين، في ﴿إن جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾، أحسنوا، فمن أحسن كما أحسن الله إليه، فسوف يلقى الإحسان جزاءً له، وسوف يلقى الحُسن.

من هنا أيضاً نفهم لماذا وضع اله دائماً في رسالاته إنشاء هذه الطبقة القيادية التي يقتدي بها الناس، فلو شاء الله سبحانه وتعالى لأنزل رسله دونما واسطة، فكل واحد يجد عنده كتاب يقرأه وانتهى الأمر، لكن لم يكن كذلك، فقد أُرسلت الكتب على رسل، من أجل أن يبيّنوا هذه الشريعة للناس بسلوكهم الحَسن، وهذه مهمة أساسية من مهمات الرسل، هذا التبيين العملي للناس، ﴿يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾، فإذن تعليم الكتاب بالسلوك العملي هو جزء أساسي وجزء مهم جداً، وهذا التعليم هو من أجل أن تأخذ الشكل الحَسن، وهؤلاء الذين يقومون بذلك سمَّاهم الله سبحانه وتعالى الشهداء، فقد قال عن النبي ﷺ: ﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً﴾،Terms of reference كما يقولون اليوم، فمهمات النبي ﷺ بسورة الأحزاب خمس: ﴿إنّا أرسلناك: شاهداً، ومبشّراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً [يعني مصدر إشعاع]﴾ ، والداعي هذه هي وظيفة للنبي ﷺ ومن بعده، ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعنِ﴾، فكل من اتَّبعه إلى يوم القيامة يقوم بهذه الوظيفة، لكن الشاهد هي وظيفة مهمة جداً، فالشاهد هو الذي نسميه اليوم معيار ضمان الجودة، وهو المثل الأعلى الذي يجب أن يُتَّبع ونقيس أنفسنا إليه، فبمقدار ما نقترب منه فنكون قد اقتربنا مما يريده ربنا عزّ وجلّ، وهذا يدخل في موضوع الجمال والإحسان بالدرجة الأولى، ولذلك هنا الشهداء على الناس هم – كما قلت – هذه الطبقة القيادية التي يقتدي بها الناس، فبعد النبي ﷺ كان الراشدون والصحابة، وفي يوم القيامة يأتي الله سبحانه وتعالى بهذه المعايير ويطلب من الناس أن يقارنوا أنفسهم إليها ويقدّرون درجات الامتحان التي يحوزون عليها. فلذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. وسيدنا عيسى حينما سأله ربه عزّ وجل: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾، وبآخر هذه الآيات يقول: ﴿وكنت عليهم شهيداً﴾....، لاحظوا بعد ذلك ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم – وليس الشهيد عليهم -

﴾، فإذن الرقيب شيء والشهيد شيء آخر، فالشهيد لا يُقصد به الرقيب، فالله سبحانه وتعالى رقيب في كل حال قبل أن يُتوفّى سيدنا عيسى وبعد أن يُتوفّى سيدنا عيسى. فإذن – كما قلنا – هذه الطبقة القيادية وهذه المُثُل التي يجب أن يُقتدى بها لها أسماء عديدة في القرآن، وما ورد منها في القرآن الكريم ثلاثة أسماء بالإضافة إلى الشاهد: "من يُؤتم به" ﴿إن إبراهيم كان أُمّة﴾، و"من يُقتدى به" ﴿أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده﴾، و"من يُتأسى به" ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة﴾، إذن الأسوة والقدوة والأمّة هو الذي يمثِّل هذا الشاهد وربنا عزّ وجل يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة﴾، لاحظوا كيف أن الحُسن رأساً دخل في الموضوع، فموضوع البُعد الجمالي يتخلّل كل حركة وكل سكنة يقوم بها المؤمن، ﴿كان لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه﴾، فدائماً ترتبط الأسوة بالحسنة.

والعجيب أن ربنا يبشِّر هؤلاء الذين يأتون بالحسنات بأنه سيبوئهم في الدنيا حسنة وأنهم سيلقون في الآخرة حسنة، وهذا شيء مهم جداً، ولذلك الدعاء المأثور والذي ندعو به كثيراً « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة »، فالمطلوب أن نبحث عن هذه الحسنة وأن ندعو ربنا عز وجل أن يعيننا عليها في الدنيا وفي الآخرة. وما تحدّث عنه من أن التصرفات الجميلة مطلوبة في كل عمل، مثلاً: الصبر الجميل، السراح الجميل، الهجر الجميل؛ فحتى الهجر يكون جميل، لماذا ؟ لأن هذا الهجر الجميل يجعل ذلك الإنسان الذي يُهجر يستحي مما فعل،وبالتالي يعود إلى رشده ويتصرف تصرفاً جميلاً، ولذلك يقول رب العالمين عن هؤلاء المؤمنين: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾، فبدل أن يعامل هذه السيئة بالسيئة يعاملها بالحسنة، فمعاملتها بالحسنة تدرأ السيئة، فهذه تقي الإنسان الآخر من الوقوع في السيئة، وهذه صفة من صفات الخلق الكريم، التي نجدها في أتباع هذا الدين الكريم.

جاء إنسان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أصبت من فلانة قُبلة. – بكل بساطة -، فقال: « أليس قد صليت معنا العشاء الآخرة »، قال: بلا. قال: « إن الحسنات يذهبن السيئات ». قال: يا رسول الله! ألي هذا أم لأمة محمدٍ كلها. قال: « بل لأمة محمدٍ كلها ». "إن الحسنات يذهبن السيئات" ولذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»، فعندما يعمل الإنسان سيئة - والأصل في الإنسان أن يعمل السيئات وأن يخطأ -، فالنبي ﷺ يقول: «كل ابن آدم خطاء .. »، هذا نص واضح جداً، فمن سيدنا آدم إلى أن تقوم الساعة كل ابن آدم خطاء، فسيدنا آدم نفسه كان خطاء وكل أبنائه من بعده، - والأبناء طبعاً يعني الأبناء والبنات – كلهم خطاءون، « .. وخير الخطائين التوابون ». ﴿إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ رأساً، فإذا نزغه نزغٌ من الشيطان فيستغفر ويعود، والله سبحانه وتعالى يتقبَّل، فقضية المغفرة والميكانيزم الخاص بالمغفرة والتوبة مع الله عزَّ وجل سهلة جداً وبسيطة جداً، ونحن نحاول أن نعقِّد هذه الأمور، فنحن لا نريد أن يغفر الله لنا، ورب العالمين يقول: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾، فعندما يسأل هذا السؤال فهذا يعني أنه حث شديد على أن يسأل الإنسان المغفرة، والله سبحانه وتعالى يغضب من العبد أن لا يسأله، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يُسأل ويريد أن يُستغفر فيغفر، لماذا ؟، لأنه بذلك يتجلّى هذا الاسم من الأسماء الحسنى، فالأسماء الحسنى لا تتجلّى إلا إذا أمكن تطبيقها في الواقع، فاسم الغفّار والغفور وذو المغفرة، هذا لا يتجلّى إلا إذا غفر الله عزّ وجل، فإذن لازم أن يخطأ الإنسان ويغفر له رب العالمين حتى تتجلّى هذه الأسماء الحسنى وحتى تتجلّى الرحمة وتتجلى المغفرة، فإذن الخطأ من طبيعة الناس، ورب العالمين وضع لنا الطريق، وهذا ما يقوله الرسول ﷺ: « إن الحسنات يذهبن السيئات »، « أتبع السيئة الحسنة تمحها »، بهذه البساطة، فمن أجل ذلك ينبغي أن يكون الإنسان دائماً على ذكرٍ من الله عز وجل وأن يعود إليه ويأوب إليه ويتوب إليه، فالتوبة معناها العودة، فيعود إلى الله عزّ

وجل، ﴿نِعمَ العبد إنه أوّاب﴾، فمجرد أن يشعر أنه قد خرج عن الطريق قليلاً يعود فوراً، هذا هو الأواب، وطبعاً هذه صفة لعدد من أنبياء الله عز وجل وهي أن يكون العبد أواباً، وقضية الاستغفار وطلب التوبة مهمة جداً، والنبي ﷺ قال: « إني لأستغفر الله في اليوم الواحد مائة مرة »، وهذا هو النبي ﷺ، فقضية الاستغفار المهم فيها طبعاً هو الموقف، فموقف الإنسان وشعوره أمام الله بأنه يستحيي من الله عز وجل أنه فعل مثل هذا الفعل الذي لا يرضى عنه الله عز وجل، أصلاً هذا هو مفهوم الخشية، فالخشية ليس معناها الذعر من الله عز وجل، ولكن الخشية هي أن الإنسان يستحيي من ربه أنه قام بمثل هذا الفعل، فهذا الموقف موقف الاستحياء من الله عز وجل هو الذي يعامله رب العالمين بالإحسان، وتصرُّف العبد بالتوبة هو في حد ذاته تصرُّف إحسان؛ لأن هذه حسنة تمحو السيئة. ورب العالمين ينادي الناس: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾، جميعاً فلا يوجد استثناءات، فكيف بعد كل هذا نبقى نحن بعيدين عن هذا الرب العظيم، فهو شيء فعلاً يثير العجب.

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾، فقط، فدائماً مجرد أن يطلب الإنسان ويشعر بهذا الموقف أمام الله عز وجل فتتصاغر نفسه أمام الله عز وجل حينما يتخذ مثل هذا الموقف غير الجميل، وهذا الموقف القبيح وهذا الموقف السيئ، لذلك سرعان ما يعود، ورب العالمين كما قلنا التوبة عنده جاهزة تماماً، ولذلك حينما جاء إنسان إلى السيدة رابعة العدوية – رحمها الله – فقال لها: فعلت فعلاً وتبت إلى الله ولكن لا أدري هل يتوب الله علي أم لا يتوب، قالت له: "يا مسكين لو لم يتب عليك لم تتب، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾". فهذه هي الصلة الحقيقية بالله عز وجل.

في ظني أن الموضوع لا يمكن أن يُنتهى منه بسرعة، وقضية الحسن في الثياب قال لي الأخ الدكتور العوّا أنه هناك بعض الاخوة تسائلوا عن بعض ما ذكرته في آخر الحديث عن قضية الجمال في

اللباس، وهذا يمكن أن نختم به، فالجمال في اللباس كما قلنا مطلوب في الجنسين وليس مطلوباً في جنسٍ واحد فقط، ولذلك نجد أن النبي ﷺ كان يلبس أجمل الثياب، وحديث البراء بن عازب الذي رواه البخاري ومسلم: « كان النبي ﷺ مربوعاً [يعني متوسط القامة] بعيد ما بين المنكبين، له شعرٌ يبلغ شحمة أذنيه رأيته في حلةٍ حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه قط »، حمراء، ونحن نقول أنه في الـ Valentine لا يجوز أن نبعث بورود حمراء لأن الورد باللون الأحمر مكروه، وهناك رواية أخرى أيضاً في البخاري ومسلم عن وهب بن عبد الله: « فخرج النبي ﷺ وعليه حلةٌ حمراء »، فهذا النبي ﷺ يلبس تيشرت أحمر مثلاً، تصوروا بهذا الشكل، والآن لا يمكن لأحد أن يقبلها بشكل من الأشكال، وهناك حديث آخر: « أنه كان عليه بُردان أخضران »، فلاحظوا اللون الأخضر وليس اللون مثلاً الرمادي ولا البيج ولا الألوان التي نعتبرها إلى حدٍ ما ألوان معتدلة، لا بل هذه الألوان الأحمر والأصفر والأخضر. وهذا رفاعة التميمي يقول: رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران، وهو حديث في الترمذي وأبي داوود، ولذلك يقول النبي ﷺ: « أصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامةٌ في الناس – هذه الشامة الحلوة التي تكون في الوجه – فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحُّش »، فالفحش يعني القبح وليس غير ذلك، ولذلك الفاحشة والفواحش سُميت كذلك لقبحها، فلذلك الشرع يستنكرها ويريد حتى أن يجعلها مكروهة من قِبَل الناس ويطلق عليها اسم القبح حتى يكرهها الناس.

عن عائشة أم المؤمنين « أن النبي ﷺ يعجبه الترجُّل ما استطاع في ترجله ووضوئه »، والترجُّل هو تسريح شعر الرأس وتسريح شعر اللحية ودهنهما، فالنبي ﷺ كان يترجَّل. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من كان له شعرٌ فليكرمه »، ونحن نرى الآن مع الأسف أنه من الشطارة أن الإنسان يظهر أشعث أغبر نافش شعره ولحيته، مع أن اللحية تكون جميلة إذا كانت ممشَّطة، فليس من الضروري أن تكون شعثاء حتى يدل الإنسان على زهده أو

تقواه. « كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه - والدُهن معناه أنه بمادة دهنية -، ويسرِّح لحيته بالماء – فاللحية بالماء لكن الشعر بالدُهن – وكان ﷺ يسافر – فما هي عدّة السفر الخاصة بالنبي ﷺ - بالمشط والمرآة والدهن والكحل ». ونحن الآن إذا قال أحد أنه يضع ..... لهذه الأشياء فتكون هذه علبة الزينة الخاصة به. وروى مكحول عن عائشة قالت « كان نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب وفي الدار ركوة فيها ماء [والركوة هي مثل دلو صغير]، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته وشعره، فقلت: يا رسول الله وأنت تفعل هذا، قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميلٌ يحب الجمال، فتكرار قضية جميلٌ يحب الجمال.

طبعاً بالمقابل أيضاً المرأة يجب أن تلبس لباساً جميلاً، ولذلك ذكرنا المرة الماضية في حجّة الوداع عندما رجع سيدنا علي من اليمن، ففي حجّة الوداع أمر النبي ﷺ الناس أن يحلّوا بين العمرة والحج فيتمتعوا، والتمتُّع معناه أنه قد حلّ الإنسان من إحرامه ولذلك يمكن أن يفعل ما يشاء بما فيها اللبس الملوَّن والمعطَّر وما شابه ذلك، فسيدنا علي ما كان عنده فكرة عن هذا الموضوع، فقد كان في اليمن أتى ببعض الهدي للنبي ﷺ، فلما وصل وجد فاطمة – رضي الله عنها - ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت – وثياباً صبيغاً يعني ملوّن، فالثياب الصبيغ ليس معناها أبيض ولا أسود لكنه ملوّن – فأنكر ذلك عليها، فطبعاً الإحرام يقتضي المنع عن التزيُّن، فهو أنكر ذلك عليها لأنها مُحرِمَة، فقالت: إن أبي أمرني بهذا، فذهب إلى رسول الله ﷺ محرشاً – هذا نص رواية الحديث - على فاطمة للذي صنعت مستفتياً رسول الله ﷺ في ما ذكرت عنه، وأخبره أنه أنكر ذلك عليها، فقال: « صدقت صدقت، أنا أمرتها بذلك ». وهذا في الحج.

عن ابن جريج حدّثني عطاء كنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عُمير وهي مجاورةٌ في جوف ثبير، وثبير هذا جبل قريب من مِنَى، فهي

كانت تجاور هناك بفترة الحج ثم تذهب لمِنَى وتعود، قلت: وما حجابها، ونحن طبعاً نعرف الحجاب أنه لأمهات المؤمنين فقط، فكلمة الحجاب لم تُستعمل في القرآن والسنّة إلا لأمهات المؤمنين، فحجابها معروف وهو ما يحجب بينها وبين الناس الآخرين، فقال: هي قبَّة تركية، [والقبَّة التركية هو نوع من الخيام الصغيرة] لها غشاء [ساتر] وما بيننا وبينها غير ذلك، ورأيت عليها درعاً مورّداً، [والدرع هو الفستان، ومورّد يعني لونه بمبي أو بلون الورد]، فأم المؤمنين بالحج كانت ترتدي فستان مورّد.

وهناك حديث آخر متفق عليه في الصحيحين: أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليالٍ، فبعد ما تُوفي زوجها بثلاث أو أبع ليال ولدت، ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾، فلما تعلّت من نفاسها، يعني أنه قد انتهى نفاسها وتحسّنت صحتها وإلى آخره، تجملت للخطاب – هذا هو النص -، وفي رواية للإمام أحمد: اكتحلت واختضبت وتجملت وتهيأت، وجاء واحد أنكر عليها واشتكاها للنبي ﷺ، فأنكر عليه النبي ﷺ عليه إنكاره عليها.

عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال عن حبّه أسامة بن زيد، فسيدنا أسامة بن زيد كان في المكانة عند النبي ﷺ بنفس مكانة الحسن والحسين، فكان يحبه جداً لأنه كان يحب أبوه من قبل زيد بن حارثة لأنه كان متبنّاه، فقال: أما والله لو كان أسامة جاريةً [والجارية في اللغة العربية معناها الفتاة Girl وليس معناها الأمة] لحليتها وزينتها حتى أنفّقها. هذا هو الوضع الطبيعي، فالحياة بزمن النبي ﷺ كانت حياة طبيعية لم يكن فيها أي تصنُّع، ولذلك الناحية الجمالية أو البُعد الجمالي واضح فيها بكل بروز، بل على العكس أنه إذا حصل خلاف ذلك كان هذا يثير التساؤل، فالسيدة عائشة تقول: دخلت عليّ خويلة بنت حكيم، وخويلة بنت حكيم كانت زوجة عثمان بن مظعون فرأى النبي ﷺ بزازة هيئتها، فرآها مهملة .... لم تكن متجملة، هذا يسمونه البزازة، فقال لي: يا عائشة ما أبزّ هيئة خويلة، فالنبي ﷺ استغرب، يقول لماذا هي بهذه

الحالة!، قلت: يا رسول الله، امرأةٌ لا زوج لها، يعني في حكم من لا زوج لها لأن سيدنا عثمان بن مظعون كان زاهد ومتنسِّك، إلى آخره، ورواية أخرى للحديث تقول: كانت امرأة عثمان بن مظعون تختضب وتتطيّب ..... فتركته، أي تركت التزيُّن وتركت التطيُّب، فدخلت علي – أي على السيدة عائشة – فقلت لها: ما لكِ ؟، قالت: عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء، فلقيه النبي ﷺ فقال: يا عثمان أما لك فيَّ أُسوَّة ؟، قال: بلا، قال: فإني وإني ...، وإن لأهلك عليك حقاً، فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرةً كأنها عروس، فقلنا: مه [ما الموضوع]، قالت: أصابنا ما أصاب الناس. هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن عائشة بإسناد صحيح.

وفي حديث آخر آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدراداء، فوجد أم الدرداء متبذّلة [يعني تلبس ملابس ....]، فاستغرب لم هذا، فقال: لها ما شأنك ؟، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، هذا وأبو الدرداء غائب وهو يسألها في بيتها واستغرب هذا الشيء، فجاء أبو الدرداء، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولأهلك [يعني زوجتك] عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حقٍ حقه، فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال له ﷺ: صدق سلمان.

وهناك أيضاً شيء ذكرته في المرة الماضية وأحب أن أؤكده لأؤكد صحة هذا الحديث أو حديثين بالأحرى، والحديث الأول راويه أبو داوود عن ابن عباس « أن امرأةً أتت إلى النبي ﷺ تبايعه ولم تكن مختضبة [والخضاب وقتها هو الزينة فالخضاب بالحنّة كان ....]، فلم يبايعها حتى اختضبت »، يعني يُعتبر هذا التزيُّن كأنه واجب شرعي. وعن عائشة أم المؤمنين « أن امرأةً مدّت يدها إلى النبي ﷺ بكتاب فقبض يده، فقالت: يا رسول الله مددت يدي إليك بكتابٍ فلم تأخذه، فقال: إني لم أدري أيد رجلٍ هي أم يد امرأة، قال: بل يد امرأة، قال: لو كنت امرأةً لغيرتِ أظفارك بالحناء ». إذن

تغيير الأظفار اعتبره النبي ﷺ هو واسطة التمييز بين الرجل والمرأة، وهذا أيضاً حديث صحيح راويه النسائي.

وطبعاً الحناء هو الصباغ الشائع وقتها، وممكن أي شيء ملوَّن يقوم مقامه في هذه الأيام، وكما ذكرنا كان النبي ﷺ يدهن رأسه وهذا لم يكن يحول دون وصول الماء، والنبي ﷺ حجّ ملبداً، والتلبيد هو أنهم كانوا يضعون بالحج على الرأس صمغ حتى يلصق كل الشعر مع بعضه طول وقت الحج حتى لا يضطر أن يفتحه ويغسله ومثل ذلك، فكان يمسح من فوق الصمغ، فالنبي ﷺ حجّ ملبداً، فكل مدة الحج كان يمسح رأسه بهذا الشكل، وكان يغتسل بهذا الشكل، فقضية وجود حاجب كما يُقال أو حاجز فهذا حتى بالنسبة للخضاب نفسه أو الحناء، فالحناء تشكِّل حاجزاً، فنحن بالنظرة الظاهرية نظن أنه ليس هنالك حاجز، لكن كيف تلوّن الحناء ؟، هي تلوّن بأن تتحد مع الجلد أو مع الظفر أو ما شابه ذلك، فهي تشكّل طبقة سواء كانت طبقة مجهرية أو غير مجهرية فهذه تحول، فمعناها أنها عملياً لا توصل، فالمهم هو بأي شكلٍ من الأشكال أن يكون الرجل جميلاً والمرأة جميلة، متجمّلة، "إن الله لا يحب الفُحش ولا التفحُّش"، فهو سبحانه لا يحب القبح والبذاذة في الهيئة والتبذُّل مثل ما رأينا هذا المصطلح، فهذه الأشياء كلها مكروهة ولا ينبغي لا للرجال ولا للنساء أن يفعلوا ذلك لأن "الله جميل يحب الجمال". وكما قلت أن هذا موضوع لا يُمل منه ولكني أطلت عليكم.

الأسئلة

سؤال: الحديث ..... عن السيدات أم ...

في هذا الحديث هو قد فبض يده، والمفروض أنه كان يستلم منها ...، لكن هناك أحاديث أخرى طبعاً تدل على ذلك، فالنبي ﷺ كان لا يصافح النساء في البيعة، والنصوص وردت بهذا الشكل، فعن

السيدة عائشة « إني لا أصافح النساء في البيعة »، وفي رواية أخرى « إني لا أصافح النساء في المبايعة ».

مداخلة: ....

لا، هي المبايعة، لأن مبايعة الرجال تختلف عن مبايعة النساء، فمبايعة الرجال كانت على الجهاد؛ على أن يحموه مما يحمون منه .... وأولادهم إلى آخره، بينما مبايعة النساء هي التي وردت في سورة الممتحنة، وهي ﴿إذا جاءك نساء يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ...﴾ فهي كانت على مكارم الأخلاق، فالنبي ﷺ يبدو أنه أراد أن يفرِّق بينهما شكلاً كما فرَّق بينهما موضوعاً، فلذلك جعل مبايعة النساء من دون مصافحة ومبايعة الرجال بمصافحة، لكن عندنا الحديث الواضح جداً والموجود في الصحيحين أنه « كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تكون هي التي تنزع »، فإذا كان هذا ليس لمس لليدين، فما هو لمس اليدين ؟!، فالمصافحة أقل من ذلك بكثير، ومع ذلك الذي أعتقده أنا أن المصافحة فقط في موضوع البيعة، وليس له علاقة بالحالات الأخرى، وخاصةً أن رب العالمين قال: ﴿إذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها﴾، فحينما يأتي رجل يصافح امرأة فالمرأة على الأقل تردّ المصافحة، فهذا النص القرآني "أو ردّوها" وردّ المصافحة بمصافحة.

مداخلة: .... أكثر من ذلك .....

نعم، لكن الذي أقوله أنا أني لم أجد حديثاً صحيحاً ينهى عن أن يصافح الرجل المرأة وأن تصافح المرأة الرجل، كنهي، حتى حديث "إني لا أصافح النساء"، فإذا فرضنا أنه ليس للبيعة وأنه بشكل عام، فهذا يقوله النبي ﷺ عن نفسه، فهذا ليس فرضاً على المسلمين لأنه ليس فرضاً عليه هو، فهو عندما يقول "إني لا أصافح" فهذا يعني أن هذا قراره، فإذن هذا ليس فرض، والإمام ابن حزم يقول شيء من هذا القبيل وهو أن هذا ليس فرضاً عليه

فكيف يكون فرضاً علينا نحن، والإمام الشوكاني يقول أن الله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يكون هذا الأمر مفروض فيقول "عليكم في رسول الله أسوةٌ حسنة" وليس "لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة"، فعندما يقول: ﴿لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة﴾ فهذا يعني أنكم مخيرون في الإتّساء، طبعاً الإتّساء أفضل هذا لا خلاف فيه وفيه ثواب، لكن عدم الإتّساء ليس محلاً للوم أو للعقاب لأنه هذا أمر قد تركه لكن حينما يقول ربنا عز وجل "عليكم" أو "افعلوا" أو يقول النبي ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلّي » أو « خذوا عني مناسككم » فهنا يوجد أمر، فالأمر شيء والإتساء شيء آخر.

سؤال: بالنسبة لتأثير الجمال، فعرفنا أن الجمال شيء مطلوب بشكله المطلق، فالنحّات والرسّام ... والقضية المثارة هنا من رأي الدين فيمن يجسِّم جمال المرأة أم يجسِّم جمال الطبيعة أو .....

النصوص الواردة في هذا الموضوع، نلاحظ أنه مختلف بعضها عن بعض، فحتى في القرآن الكريم وما فيه من قضية الأصنام وسيدنا إبراهيم وما فعل بها، فهناك أيضاً في قصة سيدنا سليمان ﴿يصنعون له ما يشاء من تماثيل﴾، فإذن هم كانوا يصنعون التماثيل لسيدنا سليمان، ورب العالمين لم يوردها بصيغة الإنكار وإنما أوردها بصيغة المنّ والامتنان على سيدنا سليمان وأنه كان له هؤلاء الذين ﴿يصنعون له ما يشاء من تماثيل وجفانٍ كالجواد وقدورٍ راسيات﴾ إلى آخره، فإذن في القرآن الكريم يوجد الأمران، وبالسنّة النبوية المطهَّرة في بداية الدعوة كان هنالك تشديد شديد في قضية التماثيل، وبأواخر الدعوة تماماً هناك حديث صحيح أورده الشيخ ناصر الألباني – رحمة الله عليه – في آخر كتاب آداب الزفاف في السنّة المطهّرة، والشيخ ناصر من المتشددين في قضية التصوير بكل صوره وأشكاله، لكنه أورد هذا الحديث التالي وهو يحتج به وهو أنه « دخل النبي ﷺ على السيدة عائشة وهي تلعب بحصان له أجنحة فقال ما هذا يا عائشة قال: حصان قال: حصان له أجنحة قال: أوما علمت أنه كان لسليمان خيلٌ لها أجنحة »، السر

في هذا الحديث أنه قد دخل رسول الله ﷺ على السيدة عائشة في غزوة خيبر أو تابوك، وهو يسوق الحديث ويقوله باعتبار أن السيدة عائشة كانت طفلة فكان مسموح لها بهذا على اعتبار أن هذه مثل ألعاب الأطفال، لكن القضية تحتاج لحساب فالسيدة عائشة في غزوة خيبر أو تابوك، فهذا يعني أنها كانت 18 سنة تقريباً على الأقل، و18 سنة بذلك الزمن وحتى الآن لا يعني أنها طفلة تلعب بهذا الشيء، وإنما هو تمثال موجود في بيت النبوة، والنبي ﷺ انتقده من الناحية الفنية، فقال أن الحصان ليس له أجنحة، فهي أيضاً ردت بجواب أيضاً من الناحية الفنية، لكن لم ينهرها ولم يأمر بكسره ولم يرمه خارج البيت، إلى آخره، فيبدو أن آخر ما كان الحُكم عليه، هو عدم التشديد في هذه الأمور ولا سيّما إذا كانت لا تقوم مقام التقديس والتعظيم، لأن قضية التقديس والتعظيم أمر مرفوض حتى لو لم يكن هذا تمثال وكان لإنسان، فهذا أمر مرفوض. وأنا الحقيقة لست مع إثارة أمثال هذه الأمور في الوقت الحاضر، لأن إثارتها لا تجدي، وبالعكس تشوّش الناس، فنحن الآن عندنا مشاكل كثيرة جداً ونهتم بهذه الأشياء التي هي خلافية بكل معنى الكلمة.

وتطبيق الراشدين، وهذا الذي دفعني أنا وأخونا الدكتور القرضاوي وأخونا الشيخ الراوي والشيخ نصر فريد واصل، فقد سافرنا إلى قاندهار بأفغانستان، من أجل إقناعهم بعدم تحطيم تمثالي بوذا، لأن الصحابة عندما دخلوا إلى هذه البلدان لم يتناولوا أيَّ من هذه التماثيل أو الأصنام الكبيرة بأي سوء، بالعكس حافظوا عليها بكل درجات المحافظة، فالذي ضرب ذقن أبا الهول كان نابليون وليس عمرو بن العاص، فقد حوفظ عليها محافظة كاملة، لذلك عندما كتبنا للملاّ عمر قلنا لهم أنه يُخشى عليكم من ذلك، لأنه كأنكم تقولون أنكم أعلم من الخلفاء الراشدين بحقيقة الدين، فالخلفاء الراشدون تركوا هذه الأصنام في مصر، وتركوا هذه الأصنام البابلية في العراق وفي فارس، ولم يمسوها بسوء إطلاقاً، فلو كان فيها حرج ما تركوها، وفي آخر الدعوة – وهذا يؤيد ما أقول – أنه

في آخر الدعوة قد تغيَّر الموقف، وحتى هذه كانت لها مكانتها عند الذين كانوا يعبدونها من قديم، لكن لوعيّ الصحابة بأنهم عندما جاءوا إلى مصر وجدوا أهل مصر مسيحيين، والمسيحيون لا يعبدوا هذه التماثيل فتركوهم، ويجوز أنهم كانوا تدخّلوا في الموضوع إذا وجدوا ناس يعبدون هذه الأصنام، لكن وجدوا أن هذه ليست تماثيل كما يُنظر إليها بوضعها العادي فتركوها.

سؤال: .... أن كل ما يثير الجمال في النفس مسموح به ؟ كالموسيقى والغناء، ولا يثير الفتنة ولكن يثير الإحساس بالجمال .....

طبعاً، إن الله جميل يحب الجمال، ومن هذا الصوت الجميل، لذلك يقول النبي ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم »، فانظر هنا أيضاً لاستعمال كلمة الزينة، « زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »، فهذا حديث مخيف.

سؤال: وصوت المرأة هل .....

ما الفرق؟!، ليس فيها فرق، لأن رب العالمين قال لنساء النبي: ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾، فكيف يكون القول، القول يكون بصوتٍ مسموع، وهذا بنص القرآن، بالإضافة لإن نساء النبي يكنَّ من وراء حجاب، ومع ذلك قال لهن: ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾، فليس هناك ما ينص على أن هنالك فارق.

سؤال: هل غيَّر الإسلام من لباس الجاهلية ؟

غيّر تعديلات بسيطة جداً.

سؤال: إذن بقيَ لباس الجاهلية كما هو، .... اللباس بالنسبة للمرأة؟

ليس فقط لباس الجاهلية، بل كل شيء بقيَ كما هو، واللباس بالنسبة للمرأة وبالنسبة للرجل، وطعام المرأة وطعام الرجل، وأسماء المرأة وأسماء الرجل، فكله بقي كما هو، الأشياء التي

أُضيفت فقط، بالنسبة للمرأة مثلاً، فكانت المرأة تضع خمار، وهذا الخمار كان لباس هو اللباس الرسمي، فكل النساء كانوا يلبسون الخمار، والخمار والجلباب معناهما الشال أو هذا الإيشارب، فالخمار هو كل غطاء، إذن أي غطاء للرأس اسمه خمار، فالنبي ﷺ توضأ ومسح على الخمار والنعلين، فالعمامة اسمها خمار أيضاً، فللرجل والمرأة غطاء الرأس اسمه خمار، فالسيدات كانوا يغطون شعرهم، لكن كانوا يتركون هذا الخمار للوراء بحيث أن الصدر كان ينكشف، فالذي ورد في القرآن الكريم: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾، يعني هذا الخمار الذي للوراء يلقوا به للأمام حتى يغطوا الصدر، فهذا الخمار أصلاً موجود، والجلباب هذا يعنى الخمار نفسه، وليس هذا المعنى المتداول من أنه هذا الجلباب الطويل أو الجُبة، فهذا لم يكن معروفاً ولا أُضيف للباس المرأة.

سؤال: .... أنا من الشام، ولي عدة أماكن أسكنها، فأسافر سفراً طويلاً، فكيف تكون الصلاة .....

مثل ما ترغبين، فطالما أنتِ على سفر، فالنبي ﷺ لم يحدد وقت لهذا السفر.

مداخلة: .....

أين بيتِك ؟

بالشام.

إذن، أي مكان خارجه لكِ أن تقصري فيه.

مداخلة: .....

حتى لو بقيتي ثلاثمئة سنة، فلا وقت محدد لها.

مداخلة: ..... فما السبب ؟

السبب أن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الحجرات: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعنتم﴾، فالإنسان هو الذي يحب أن يشدد على نفسه، لكن الأصل أن النبي ﷺ في كل السفرات التي سافرها؛ فمرة سافر خمسة أيام ومرة تسعة أيام ومرة خمسة عشر يوم ومرة ثلاث عشرة يوم في كلها كان يقصر طول مدة السفر، فاجتهدوا بأن أكثر واحدة منهم فوضعوها هي الحد الأقصى للقصر، لكنه لم ينهى عن أننا لا نقصر في أكثر من هذا الحد، فلذلك الإمام ابن تيمية يقول: "إن كل ما هو سفر في عرف الناس فهو سفر، وأن النبي ﷺ لم يحدد لأمته موعداً في السفر"، فلذلك هذا غير محدد.

مداخلة: ..... أن أجمع الظهر والعصر قبل أن يؤذن العصر ؟

نعم طبعاً، ويمكن أن تجمعي بغير السفر أيضاً.

مداخلة: يقول البعض أنه يؤذن العصر حتى أستطيع أن أجمع الظهر والعصر

لكه يجوز، فالنبي ﷺ جمع الظهر والعصر معاً، والمغرب والعشاء معاً، مرة تقديم ومرة تأخير، فعندما سأله سيدنا ابن عباس راوي الحديث عن السبب، قال "لإلا يحرج أمته"، فإذا كان المطلوب عدم الحرج، فنعود نضع تحديدات جديدة حتى تحرج الناس، فلا حرج يعني أنه يجب ألا يكون هناك أي حرج.

سؤال: ....

أنتِ تستفتي قلبك، مما يقولوه، لكن كل واحد يجب أن يذكر حجته، ونحن نعرف أن رب العالمين له ثلاثة إرادات نص عليهم بكل وضوح: ﴿يريد الله بكم اليسر﴾، ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾، ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾. ونحن نريد بأنفسنا العسر، ونريد ألا نخفف على أنفسنا، ونريد ألا يتوب الله علينا، فهذه مشكلتنا.

سؤال: هذه الفتاوى السريعة التي ذكرتموها بدايةً، تتسبب في التناقض بين الفتاوى وبعضها، فيمكن لنا أن نفكر أن يتركها الشخص لهواه.

نحن عندنا نص المرجعية واضحة جداً، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾، فأي واحد يقول لنا فتوة، نطالبه بحجته، فإذا استشهد بالقرآن وحديث رسول الله ﷺ، فهذا نأخذ به، لكن إذا اجتهد من عنده، أو يقول قال فلان وغيره، فلا حُجة في أحدٍ بعد رسول الله ﷺ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لإلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل﴾.

سؤال: .....

الغرض من الوضوء والغُسل وما شابه ذلك هو التطهير، لكن الطهارة شيء والنظافة شيء آخر، فنحن أحياناً نخلط بين الأمرين، فالطهارة تشتمل على الجزء المعنوي بالإضافة إلى الجزء المادي، أما النظافة فهي التنظيف المعروف، فكلمة الطهارة كما قلت أعم، وهذا هو المقصود دائماً، هو التطهُّر، ولذلك يقول رب العالمين: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم﴾، فالمقصود بهذا هو التطهُّر، لكن التطهُّر بالمعنيين، فعملية الوضوء أو عملية الغُسل هي بالدرجة الأولى تطهُّر معنوي، طبعاً لها الفائدة الجانبية التي هي التطهر المادي بالنظافة، لكن الأصل فيها هو التطهر المعنوي، أنه على الأقل مرة في اليوم يجب أن يشعر الإنسان أنه يعيد ترتيب وضعه، وإذا لم يستطع أن يفعل ذلك بالماء الذي هو المعتبر، فرمزياً يفعلها بالتراب، وبالنسبة للتراب فهناك أناس كثيرون يوسعوا قضية التيمم ويعقدوها، فهي ضربة واحدة للوجه والكفين، فالواحد يضرب هكذا (ضربة واحدة) وهي نفسها للوجه والكفين، فقط، فما نفعل غير هذا، وليت واحدة للوجه وواحدة للكفين، لكن فقط "ضربةٌ للوجه والكفين"، مثلما قال النبي ﷺ، إذن هي عمل رمزي فقط – باعتقادي -، وليس من المعقول أن تكون –

مثل ما يقول بعض إخواننا الذين يتحدثون عن الإعجاز – أن هذه بالكروماتوجرفي تأخذ الميكروبات، فلا أظن هذا.

سؤال: .....

ما هو تعريف الثقافة ؟

مداخلة: ....

الثقافة هي مجموعة كيان الشخص التي استفادها من أبيه وأمه، واستفادها من المعلمين في المدرسة، واستفادها من رفاقه في الحي، فكل هذه الأشياء تطبع كل فئة أو كل أمة بطابعها، حتى يقولون أن الثقافة هي الشيء المشترك بين الطبيب الانكليزي والراعي الانكليزي، هذا هو المشترك بين The british physician and the british shipper، فبطبيعة الحال سيكون هناك ثقافة إسلامية وثقافة غير إسلامية، وثقافات مختلفة، فما المانع من أن نقول "الثقافة الإسلامية"، فالثقافة الإسلامية هي أيضاً نوع من هذا الأمر الذي اكتسبه الإنسان من محيطه الإسلامي، بل قد يكون منها ما هو ليس إسلامياً، فهذا لا يعني أن الثقافة الإسلامية كلها لها جذور إسلامية أو هي صحيحة، فهذه ثقافة المسلمين بتعبير آخر أكثر من أن تكون ثقافة إسلامية.

مداخلة: .....

انتهى